

تفسير السعدي

ثُمَّ أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ تَقْتَلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهِرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْأَثْمِ
وَالْعُدُوانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارِي تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مَحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُؤِمُّونَ بَعْضِ
الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بَعْضِ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خَزِيٌّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

وهذا الفعل المذكور في هذه الآية، فعل للذين كانوا في زمن الوحي بالمدينة، وذلك أن الأوس والخرج - وهم الأنصار - كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مشركين، وكانوا يقتلون على عادة الجاهلية، فنزلت عليهم الفرق الثلاث من فرق اليهود، بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، وكل فرقة منهم حالفت فرقة من أهل المدينة. فكانوا إذا اقتلوا أuan اليهودي حليفه على مقاتليه الذين تعينهم الفرق الأخرى من اليهود، فيقتل اليهودي اليهودي، ويخرجه من دياره إذا حصل جلاء ونهب، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها، وكان قد حصل أسرى بين الطائفتين فدى بعضهم ببعضًا. والأمور الثلاثة كلها قد فرضت عليهم، ففرض عليهم أن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرج بعضهم ببعضًا، وإذا وجدوا أسيرا

منهم، وجب عليهم فداوته، فعملوا بالأخير وتركوا الأولين، فأنكر الله عليهم ذلك فقال: {

أَفَتُؤْمِنُونَ بِيَعْضِ الْكِتَابِ } وهو فداء الأسير { وَتَكْفُرُونَ بِيَعْضٍ } وهو القتل والإخراج.

وفيها أكبر دليل على أن الإيمان يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي، وأن المأمورات

من الإيمان، قال تعالى: { فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }

وقد وقع ذلك فأخزاهم الله، وسلط رسوله عليهم، فقتل من قتل، وسيى من سى منهم،

وأجل من أجل. { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ } أي: أعظمه { وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ

عَمَّا تَعْمَلُونَ } ثم أخبر تعالى عن السبب الذي أوجب لهم الكفر ببعض الكتاب، والإيمان

بعضه فقال: { أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ } توهموا أنهم إن لم يعينوا

حلفاءهم حصل لهم عار، فاختاروا النار على العار، فلهذا قال: { فَلَا يُخْفَفُ عَنْهُمْ

الْعَذَابُ } بل هو باق على شدته، ولا يحصل لهم راحة بوقت من الأوقات، { وَلَا هُمْ

يُنْصَرُونَ } أي: يدفع عنهم مكروه